القيم منظورات مفهومية وممارستية

الباحث محمد العثماني الصقلي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق
جامعة الحسن الثاني – المملكة المغربية
profskali1967@gmail.com

الملخص:

تتغيى هذه الورقات البحث في القيم ودراستها دراسة مفاهيمية تأصيلية بناء على المعاجم اللغوية وما اصطلح عليه الباحثون في القيم من حيث أصل الوضع ورحلة المفهوم، وتهدف في خلاصتها للإجابة على سؤال القيم والأخلاق في عالمنا المعاصر لان الانفجار المعلوماتي غير المسدد والعبث التكنلوجي غير المرشد القابل للاستعمال في شتى مناحي الحياة، والنشاط الإنساني بجميع تعالقاته (الإنسان– الله تعالى – الكون – النفس)، أثرا ولا زالا يؤثران في الحياة عامة، وسلوك الإنسان وممارساته الأخلاقية خاصة .ولأهمية عناصر البحث فقد قصد الباحث الإجابة على سؤال إشكالي لطالما قض مضجع كل ذي بصيرة وحس إنساني ينشد التجديد والانبعاث الحضاري، وقد حاول رصد محددات منهجية التي يمكن أن تتساوق للدفع بالإنسان المستخلف في الأرض، لإقامة العمران؛ وتحقيق الشهود الحضاري في ظل عولمة متغطرسة وحضارات مادية شرسة . وذلك باستلهام منظومة قيم جديدة تتسق والهدايات القرآنية والقيم الإنسانية الفطرية الكونية. و تبعا لنتائج الدراسة المتخصصة في السلوكيات البشرية، فالإنسان يكيف سلوكه انطلاقا من الممارسة المستمرة، ومن خلال تعرضه لمواقف مختلفة مشاهدة وقولا وفعلا وبالتكرار قد يقبل الفرد ببعض الأفكار التي لا تناسب قيمه بفعل العادة والإيلاف. لذلك تسهم هذه المقالة في محاولة إلى التنبيه والإشارة إلى مواطن السواء التي يحتاجها الإنسان المعاصر، للرجوع إلى تصحيح الوجهة وتحقيق الرشد في حياة الناس، و ذلك بتقديم القيم السليمة التي دلت عليها الهدايات القرآنية في صياغة جديدة ، تلائم بين ماهو قائم على الواقع وما ينشده البحث بالمقارنة والتحليل، والإفادة من العلوم الإنسانية أخذا وعطاء.

الكلمات المفتاحية: القيم – المفهوم – الهدايات القرآنية.

Abstract:

This paper covers the research and study of values, from an original conceptual study based on linguistic dictionaries and what researchers have termed values in terms of the "origin of the situation" and the "journey of the concept". This paper also aims to answer the question of "Values & Morals" in our society that is impacted by a technology boom in all areas of life including human interaction with Man, Allah, Universe, and Soul.

Taking into consideration the importance of the research, the article tries to answer a problematic question linked to civilization renewal & resurrection, and has attempted to observe methodological determinants that can be consistent to the human being and his mission in building urbanization and the realization of civilized witnesses; by inspiring a new system of values consistent with Quranic guidances and cosmic innate human values. And according to the results of the study specializing in human behaviours, a person adapts his or her behavior from constant practice, and through exposure to different attitudes of observation, word and deed and repetition, the individual may accept some ideas that are not suitable for his or her values by habits.

This article contributes to an attempt to alert and point out the normal places that modern mankind needs, in order to correct direction and achieve maturity in people's lives, by presenting the sound values evidenced by the Quranic guidances in a new formulation, which is appropriate between what is based on reality and what research seeks in comparison and analysis, and to benefit from the humanities in both taking and giving.

Keywords: Values – Ethics - Quranic guidance –Urbanization

المقدمة:

إننا – اليوم – نعيش –كونيا –أزمة انهيار نظم القيم بسبب التغيرات الكبيرة التي أصابت بنى المجتمعات، وأنماط الإنتاج، وسيولة المعلومات، وهياكل العلاقات الأسرية والاجتماعية والدولية، ومضامين وأشكال القوانين التي باتت تنظم كل ذلك، مما زج بالإنسان المعاصر في أنواع متعددة من المعاناة كالإحباط وخيبة الأمل "Frustration"، والإحساس بالاغتراب" Aliénation" والشعور بالضعف "Powerlessness" والمعاناة من عدم الانسجام، ومظاهر الشذوذ في الحياة والسلوك"Normlessness".

ولقد أُحِلَّت على الصعيد العالمي محل القيم المنهارة، قيم جديدة ذات طابع براغماتي، تتسم بنسبية كبيرة جدا بسبب الضعف في المعطيات الناجم عن القصور في البحث والاستقراء من جهة، وعن الافتقار إلى مرجعية صواب ثابتة بالنسبة للأغلبيين من جهة ثانية.

ويمر العالم منذ ما يقرب من قرنين من الزمن بمحاولات متعددة تبحث على عودة الفاعلية في التاريخ. وتواجه تلك المحاولات صعوبة كبيرة في جعل الإنسان قادرا على أن يتحرك نحو قبلة بعيدة قادرة على ضمان سيره المشترك الإنساني نحوها، حيث إنه غير ممكن أن تعود فاعليته في التاريخ حتى يكون قادرا على معرفة الحالة الراهنة ويملك البوصلة الصحيحة لتحديد الوجهة ومتى يجب أن يتحرك نحوها ويكون سيره المشترك قابلا للتحقق؛ على الرغم من التحديات التي تعترض سبيله، هذه المحطات التي يطلق عليها في حياة المجتمعات والأمم أسماء: كالانحطاط، والسقوط، والأزمة الخانقة. إلا أنها تتلخص في غياب القدرة للإنسانية على مواصلة سيرها المشترك نحو غاية بعيدة توحدها؛ إذ تكون الرؤية في مثل هذه اللحظات مشوشة أو معطلة بالكامل. وذلك بسبب إفلاس الأمم في عالم القيم.

مشكلة الدراسة:

ويمكن صياغة إشكالية الدراسة في السؤالين التاليين:

1- ما مفهوم القيم؟

2- وكيف يمكن استلهام منظومة قيم جديدة تتسق والهدايات القرآنية والقيم الإنسانية الكونية؟

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة للبحث عن الإجابة المرضية على هذين السؤالين، لمعالجة موضوع "القيم " من خلال منظورات مفهومية وممارستية، رصد جزئيات فرضيات حل الإشكالية في مضانها وهي:

- ✓ يمكن اعتبار فطرة الله التي فطر الناس عليها ملاذا آمنا للقيم الحقة .
- ✓ الاهتداء بما في الكتاب المجيد من القيم الربانية يحقق إحياء وممارسة الفعل القيمي الذي أصابه الشلل في واقع الناس.
- ✓ لعل منظومة القيم الإسلامية تحث النخبة المثقفة على تجديد النظر في خيارات إقامة العمران و وبناء الحضارة بالإقبال على منهجية النظر العلمي المنطقي المتجدد .

أهمية الدراسة:

تنبع الأهمية العلمية للدراسة في أن القيم الإنسانية لها دور كبير في الحياة، لذلك كثر الحديث –عنها وعن الأخلاق–في علاقتهما بالعولمة، كما يبدو من مختلف التحليلات أن الداعي لتناول هذا الموضوع بالبحث والتحليل والتفكيك، هو الرجات المتاولية التي يعرفها عالمنا المعاصر، وخاصة المجتمعات التاريخية منه، هذه الرجات الناتجة عن علاقات غير متكافئة بين قيم جديدة وافدة، وقيم هذه المجتمعات الأصيلة و المتجدرة. من هنا يستمد البحث جديته للطرح العلمي وجدواه للدرس القيمي المعاصر.

منهجية الدراسة:

أ- وقد نهج الباحث في مقاربة هذه الدارسة المنهج التحليلي بتحديد مشكلة البحث الرئيسية، وجمع البيانات التي ترتبط وتتعلق بالدراسة، واستخراج النتائج المتوخاة وعرضها.

ب- حدود الدراسة: إن الحيز الذي يتسع لهذه الدراسة هو مجال سؤال الأخلاق والقيم في عالمنا المعاصر وقد قصر الباحث نظره على الدراسة المفهومية وعلاقتها بالممارسة الفعلية في ضوء التصور لمنظومة القيم الإسلامية.

هيكلة الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى أربعة مداخل، يتناول المدخل الأول منها إطار المفهوم اللغوي للقيم، بينما يتطرق المدخل الثاني إلى المفهوم الاصطلاحي للقيم والمدخل الثالث قيم الهدايات القرآنية. والمدخل الرابع للمكونات الأساسية للقيم وأثرها في حياة الإنسان وعلاقتها بمتطلبات العمران.

فما هي القيم؟

وما هي قيمة الإنسان للنهوض الحضاري؟

وكيف يمكن استلهام منظومة قيم جديدة تتسق والهدايات القرآنية والقيم الإنسانية الكونية؟

للبحث عن الإجابة المرضية على هذه الأسئلة التي تفرض نفسها لمعالجة موضوع "القيم" بمنظورات من حيث المفهوم والممارسة، يمكن رصدها من خلال هذه المداخل الأربعة المقترحة:

1. **مدخل المفهوم اللغوي للقيم.**
2. **مدخل المفهوم الاصطلاحي للقيم.**
3. **مدخل القيم في الهدايات القرآنية.**
4. **مدخل مكونات القيم ومتطلبات العمران.**

1. مدخل المفهوم اللغوي للقيم:

تتجلى أهم خصيصة محددة لهوية الإنسان الوجودية في اقتداره على التميز عن المكان والزمان والأشياء، تلك المقدرة التي تخول له تحديد الواقع ومعرفة تفاصيله ومختلف تلويناته، واستشراف آخر جديد.

ولم يكن الإنسان ليدرك هذه الوقائع في تعددها وتحولها، لولا تحليه بملكة التقويم التي ليست إلا كفاية يربط فيها بين الواقع حالا واستقبالا.

وقد اهتم الفلاسفة ومنظرو النظام الوجودي للإنسان بالمنظورات القيمية، وساروا فيها وجهات متعددة دلت على مركزية القيم في العمران الإنساني ككل. ولا يخرج استشكال النظر والعمل – أي الممارسة – في مبحث القيم عن هذا الجدل الفلسفي والمعرفي والسلوكي، إذ أصبحت مسألة القيم – اليوم – هاجس الفكر الفلسفي المعاصر الذي يبحث في خصوصياتها وكونيتها، ووحدتها وتعددها، وصراعها وتصالحها، وفي كونها مجرد نظر أو محض عمل.

و فصل الحديث في القيم قصد التصدي للهجمات الهادفة إلى النيل من منظومتنا القيمية يتطلب تأسيس خطاب علمي يحدد مبدئيا مفهوم القيم قصد توحيد المصطلح الذي يتم التعامل بموجبه لبناء الأنسقة القيمية.

وإذن، يمكن طرح الإشكال ما هي القيم؟

فبالرجوع إلى المعاجم اللغوية المعتبرة والمؤسسة نجد – حسب التسلسل الزمني –مادة (ق.و.م) ترجع في مجموع اشتقاقاتها إلى ما يلي:

أولا: معجم العين للفراهيدي[1]

(القوم: الرجال دون النساء، قال الله **(لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ)**[2]"

وما أدري، وسوف إخال أدري

أقوم آل حصن أم نساء[3]

وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته.

والقومة: ما بين الركعتين من القيام قال أبو الدُّقَيش: "أصلي الغداة قومتين والمغرب ثلاث قومات".

والقامة: مقدار قيام الرجل، أقصر من الباع بشبر وثلاث قيم وقامات.

---

[1] هو الخَلِيل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت170هـ)؛ واسمه الكامل الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي وكنيته أبو عبد الرحمن، شاعر ونحوي عربي بصري، يُعد علمًا بارزًا وإمامًا من أئمة اللغة والأدب العربيين، وهو واضع علم العروض، وقد درس الموسيقى والإيقاع في الشعر العربي ليتمكّن من ضبط أوزانه.

[2] سورة الحجرات: 11

[3] هذا البيت الشعري لزهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، أحد شعراء العرب وحكيم الشعراء في الجاهلية (ت608م).

والقامة: مقدار قيام الرجل، كهيئة الرجل يُبنى على شفير بئر. لوضع عود البكرة عليه والجميع: القام، وكل شيء كذلك بني على سطح ونحوه فهو قامة. وفلان ذو قومية على ماله وأمره. وهذا الأمر لا قومية له، أي: لا قوام له، قال:

ألم تر للحق قومية وأمره جليا به يُعتدى

وتقول قمت قياما، وأقمت بالمكان إقامة ومقاما والمقام: موضع القدمين، والمقام والمقامة: الموضع الذي تُقيم فيه.

ورجال قيام ونساء قيم، وقائمات أعرف.

ودنانير قُوَّم وقُيَم، ودينار قائم أي مثقال سواء لا يَرْجح. وهو عند الصَّيارفة ناقص حتى يرجح فيسمى ميالا.

وقيم والقوم: من يسوس أمرهم ويقومهم ورمح قويم ورجل قويم، وفي الحديث: "ولا يخر إلا قائما." أي: لا أموت إلا قائما على الإسلام.

والقائم في الملك ونحوه. وكل من كان على الحق فهو القائم الممسك به.

والقيّمة: الملة المستقيمة. وقوله: "ذلك دين القيّمة" أي: المستقيمة.

والقيام: العماد في قوله تعالى: "جعل الله لكم قياما". وقوام الجسم إتمامه وطوله وقوام الشيء؛ ما استقام به.

وقاومته في كذا، أي: نازلته.

والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم: تقول تقاوموا فيما بينهم.

وإذا انقاد واستمرت طريقته. فقد استقام لوجهه.

ثانيا: معجم مقاييس اللغة لابن فارس[4]:

قوم: القاف والواو والميم أصلان صحيحان يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم، والآخر على انتصاب أو عزم.

فالأول: القوم، يقولون: جمع امرئ ولا يكون ذلك إلا للرجال قال الله تعالى:" **لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ** "، ثم قال: " **وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ** "

وأما الآخر: قام قياما...إذا انتصب ويكون قام بمعنى العزيمة كما يقال قام بهذا الأمر، إذا اعتنقه.

ومن الباب: قومت الشيء تقويما. وأصل القيمة الواو، وأصله أنك تقيم هذا مكان ذاك.

ومن الباب: هذا قوام الدين والحق أي: به يقوم.

ثالثا: لسان العرب لابن منظور[5]:

قوم:

1) القيام: نقيض الجلوس.

2) العزم: **(على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في رماد)**[6]

" **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ**" [7]، " **إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**"[8].

3) المحافظة والإصلاح. "الرجال قوّامون على النساء".

---

[4] هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت395 هـ) لُغَوِيّ وإمام في اللغة والأدب.

[5] هو ابن منظور (ت 711 هـ) هو أديب ومؤرّخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية. من أشهر مؤلّفاته معجم لسان العرب، هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي.

[6] هذا البيت الشعري للصحابي الجليل حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه توفي ما بين (35-40هـ).

[7] سورة الجن: 19

[8] سورة الكهف: 14

4) الوقوف والثبات "وإذا أظلم عليهم قاموا" قامت الدابة أي وقفت عن المسير قام الماء إذا توقف متحيرا. لم يجد منفذا أو جمد.

* الإقامة: المقام. النزل أو المنزلة.

* الاستقامة: الاعتدال يقال: استقام له الأمر. «فاستقيموا إليه" وحده دون الآلهة. قام الشيء واستقام اعتدل واستوى القيام الاستقامة " قل ربي الله ثم استقم ":

_الاستقامة على الطاعة.

_ترك الشرك.

• القوام: العدل "وكان بين ذلك قواما". والقيمة واحد القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم. تقول: تقاوموه فيما بينهم وإذا انقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه.

والاستقامة: التقويم لقول أهل مكة استقمت المتاع أي قومته. وفي الحديث: "قالوا يا رسول الله لو قومت لنا قال الله هو المقوم"[9]

وأمر قيم: مستقيم.

"ذلك الدين القيم" : المستقيم الذي لا يزيغ عن الحق ./قيم المرأة زوجها (مانها).

رابعا: تاج العروس للزبيدي[10]:

ومن المجاز: قام الأمر قوما اعتدل واستوى كاستقام ومثله أجاب، واستجاب قال قتادة: استقاموا على طاعة الله وقال الأسود بن مالك: ثم استقاموا لم يشركوا به شيئا.

والقيمة بالكسر: واحدة القيم وهو ثمن الشيء بالتقويم وأصله الواو ولأنه يقوم مقام الشيء.

[9] أخرجه ابن ماجه (2201) مختصرا، وأحمد (11809) واللفظ له، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله.

[10] السيد مرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ)عالم ولغوي وكاتب وشاعر ومؤرخ. وهو علامة بالحديث واللغة العربية والأنساب ومن كبار المصنفين في عصره.

والقيوم والقيام: الذي لا ندَّ له والصواب الذي لا بدأ له. وفي الصحاح قرأ عمر الحي القيام، وهو لغة. قال ابن الأعرابي: القيام والقيوم والمدبر واحد.

وخلاصة ما ذكر بالمعاجم العربية أن "القيمة" واحد القيم، فعلها " يُقيّم"، وماضيها "قَيَّمَ"، وأصله الواو ؛ لأنه يقوم مقام الشيء؛ والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم: تقول تقاوموه فيما بينهم وما له قيمة إذا لم يدم على شيء ويقال:" قامت الأمة بكذا" أي بلغت قيمتها كذا. و" الأمر القَيِّمُ" هو الأمر المستقيم، وفي الكتاب المجيد " **ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** " أي المستقيم، الذي لا يزيغ عن الحق. [11]

خامسا:في القرآن المجيد.

أولا: قاموس القرآن.

1. (ق.و.م) على وجهين: الإقرار من غير تصديق – الإتمام.

فوجه منها: إقرار من غير تصديق. قوله تعالى في سورة براءة " **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ** " يعني أقروا بها. نظيرها فيها.

الثاني: الإقامة بمعنى الإتمام. قوله تعالى "أقم الصلاة" يعني أتممها "والذين يقيمون الصلاة " يعني يتمو منها.

في سورة البقرة، والمجادلة وغيرهما كثير. ومن إقامة الصلاة دوام فعلها والمحافظة عليها. قاله الراغب.

2. (ق.و.م) على ستة أوجه:

أتم. استقبل. أخلص. عمل به أو بينه. نصبه. استوطن.

فوجه منها: (أقام) أتم. قوله تعالى في سورة البقرة "**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ** " أي أتموا (ومثله). ونحوه كثير.

الثاني: أقيموا. استقبلوا. قوله تعالى في سورة الأعراف "**وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**" أي استقبلوا.

[11] الفراهيدي،معجم العين، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ابن منظور، لسان العرب، والجوهري، الصحاح في اللغة، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (قوم).

الثالث: أقام يعني أخلص. قوله تعالى قي سورة يونس " **وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ**" أي أخلص دينك، ونحوه كثير.

الرابع: أقاموه أي عملوا به أو بينوه. قوله تعالى في سورة المائدة "**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**" أي عملوا بما فيهما. وقيل بينوا بما فيهما.

الخامس: أقامه أي نصبه وسواه. قوله تعالى في سورة الكهف " **يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ** " أي نصبه وسواه.

السادس: الإقامة الاستيطان. قوله تعالى في سورة النحل "**يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ**"

3. (ق.و.م): على أحد وعشر وجها:

القيام الأمن، القيام على الأرجل. الصلاة. القيم المستقيم القائم بالأمور. الوقوف. القيام بالدعوة. الكون. الثابت من البنيان والأشخاص. القول بالعدل. المواظبة.

فوجه: قياما أي أمنا. قوله تعالى في سورة المائدة "جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس" أي أمنا لهم وقواما.

الثاني: قياما أي قائمين على أرجلهم. قوله تعالى في النساء: "**فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ** " ونحوه.

الثالث: القيام الصلاة. قوله تعالى في سورة البقرة "**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**" يعني صلوا لله قائمين. كقوله تعالى في سورة المزمل "**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ**" يعني أنك تصلي. مثلها فيها "قم الليل" يعني صل الليل.

الرابع: القيم المستقيم. قوله تعالى في سورة البينة "**وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**" يعني الملة المستقيمة. مثلها في سورة يوسف "**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**" كقوله تعالى في سورة براءة.

الخامس: القائم بالأمر يرزقهم ويطعمهم ويسقيهم. قوله تعالى في سورة آل عمران "**قَائِمًا بِالْقِسْطِ**" أي بالعدل.

السادس: القيام الوقوف. قوله تعالى في سورة المطففين "**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**" يعني يقفون. كقوله تعالى في سورة النبأ "**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا** " يعني يقف ويحشر. مثلها في سورة النساء " **فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ**" ونحوه.

السابع: القيام بالدعوة. قوله تعالى في سورة المدثر "**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ**" يعني أجهر بالإنذار. وفي سورة الجن "**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ**" أي جهر بالإنذار.

الثامن: القيام يعني الكون قوله تعالى في سورة الروم مرتين "**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ**" أي تكون الساعة وهي القيامة كقوله تعالى (فيها) " **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ**" أي تكون السماء.

التاسع: القائم الثابت البنيان والأشخاص قوله تعالى في سورة هود "**مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ**" يعني ثابتا.

العاشر: القوام القوال من القول قوله تعالى في سورة النساء "**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**" يعني قوالين بالعدل.

الحادي عشر: القيام المواظبة قوله تعالى في سورة آل عمران "**إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا**" أي مواظبا. نظيره في سورة آل عمران "أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل" أي مواظبة.

4. (ق. و. م): على أربعة أوجه:

المقام المسكن. المكث والإقام. الوقوف بين يدي الله. المكان.

فوجه: المقام بمعنى المساكن قوله تعالى في سورة الشعراء "**فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ**".

يعني ومساكن حسان في سورة الدخان، قوله تعالى فيها "**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ**" يعني في مساكن.

الثاني: المقام المكث والإقامة قوله تعالى في سورة يونس "**يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي**" يعني مكثي بينكم وقال تعالى في سورة الأحزاب "**يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا** " يقول ليس لكم مكث يوم الأحزاب.

الثالث: المقام يعني الوقوف بين يدي الله تعالى قوله تعالى في سورة الرحمن "**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**" كقوله تعالى في سورة النازعات "**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**" مثلها في سورة إبراهيم "**ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** ".

الرابع: المقام المكان قوله تعالى في سورة الصافات " **وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ** " أي مكان عند الله تعالى وقال سبحانه في سورة النمل "**قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ**" يعني مكانك الذي أنت جالس فيه.

ثانيا: المعجم الإسلامي

قوم: (القيوم، من أسماء الله الحسنى.)

في القرآن: قال الله تعالى "**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**"[12].

وقال " **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**"[13]

وقال " **قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** "[14]. إلى غير ذلك من الآيات.

ومن غريب القرآن: والقيام على أضرب: قيام الشخص إما بتسخير أو اختيار، وقيام للشيء هو المراعاة للشيء، والحَفْظُ له، وقيامٌ هو على العزم على الشيء. فمن القيام بالتسخير "قائم وحصيد" وقوله "ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها".

ومن القيام الذي هو على الاختيار "أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما" وقوله "الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم" وقوله "الرجال قوامون على النساء" وقوله "والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما" ومن المراعاة للشيء "كونوا قوامين بالقسط"، وقال "قائما بالقسط" وقوله "أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت" أي : حافظ لها. وقوله تعالى "ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة" وقوله "جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس" أي: يديمون فعلها ويحافظون عليها وقوله "جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس" أي: قواما لهم يقوم به معاشهم ومعادهم.

القيامة: عبارة عن قيام الساعة المذكور في قوله تعالى "ويوم تقوم الساعة"، "ويوم يقوم الناس لربّ العالمين" وقال "وما أظن الساعة قائمة".

---

[12] سورة البقرة الآية 238 .

[13] سورة آل عمران الآية 140.

[14] سورة المائدة الآية 25.

وبالملاحظة يدرك الباحث أن هذا المفهوم يرتبط ويكتمل معناه بمفاهيم أخرى جنيسة :

1-القيمة: واحدة القيم، فعله الماضي «قَيَّمَ»، وأصله الواو لأنه "يقوم" مقام الشيء. فالقيمة ثمن الشيء بالتقويم. تقول تقاوموه فيما بينهم. وما له قيمة إذا لم يدم على شيء.

2-القيام: العزم ومنه قوله تعالى: (..**إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ...)[15] أي عزموا فقالوا. وهو المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى:(**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء**)[16] وقوله تعالى:(...**إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا**...)[17] ، أي ملازما ومحافظا وهو الوقوف والثبات ومنه قوله تعالى:(... **وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا** ...)[18] أي وقفوا وثبتوا في مكانهم.

3-القائم بالدين: المستمسك به الثابت عليه. وكل من ثبت على شيء فهو قائم عليه والقائم في الملك الحافظ له. وماء قائم أي دائم.

4-أقام الشيء: أدامه.

5-الاستقامة: الاعتدال، يقال استقام له الأمر. ومنه قوله تعالى:(...**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ**...)[19] أي في التوجه إليه دون غيره.

6-وقام الأمر واستقام: اعتدل واستوى، وقد تأخذ القيم أحيانًا هذا المعنى للاستقامة، يقول كعب بن زهير[20]:

«فهم صرفوكم، حين جزتم عن الهدى بأسيافهم حتّى استقمتم على القيم»

7-قَوَّمْتُه: عدلته فهو قَويم ومستقيم.

8-القَوَام: العدل ومنه قوله تعالى: (...**وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا**)[21] وقوام الرجل أيضا قامته وحسن طوله.

---

[15] سورة الكهف. الآية 14

[16] سورة النساء. الآية 34.

[17] سورة آل عمران.الآية75.

[18] سورة البقرة، الآية 19

[19] سورة فصلت الآية 6

[20] هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، المزني، أبو المضرب، شاعر مخضرم من أشهر قصائده اللامية التي مطلعها "بانت سعاد".

9- قِوام الأمر: نظامه وعماده ومِلاكُه الذي يقوم به ومنه قوله تعالى: (...**أموالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا** ...)[22] أي بها تقوم أموركم.

10- القَيِّمُ: المستقيم ومنه قوله تعالى: (...**ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**...)[23] أي الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق. وقوله تعالى :(**فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**) [24]، أي مستقيمة تبين الحق من الباطل.

11- المقام والمقامة: المكان الذي تقيم فيه.

12- قَيِّمُ المرأة: زوجها الذي يقوم بأمرها.

يتضح مما سبق تقديمه أن لفظ "القيمة" مرتبط بمادة «قَوَمَ» التي استعملت في اللغة لإفادة عدة معان منها:

- قيمة الشيء وثمنه؛
- الاستقامة والاعتدال؛
- نظام الأمر وعماده؛
- الثبات والدوام والاستمرار.

ولعل أقرب هذه المعاني لدلالات لفظ "القيمة" هو **الثبات والدوام والاستمرار** على الشيء.

وبالنظر إلى لفظ القيم في اللغات الأجنبية يمكن القول:

إن لمفهوم "القيمة" في اللغات الأجنبية دلالات تلامس دلالات هذا المفهوم في اللغة العربية حيث:

يقال في اللغة اللاتينية « valeres »؛ ويقال في اللغة الفرنسية « valeurs »؛ ويقال في اللغة الإنجليزية « values» ؛ ويقال في اللغة الألمانية «werte » . وترجع كلمة « valeur » في

[21] سورة الفرقان، الآية 67
[22] سورة النساء، الآية 5
[23] سورة الروم. الآية: 29
[24] سورة البينة. الآية: 03

أصلها الاشتقاقي إلى الفعل اللاتيني «valeo » ويعني «أنا قوي » و« أنا في صحة جيدة » كما تدل على الشجاعة و البسالة «vaillance » والصلابة و القوة ، وهو معنى يتضمن فكرة المقاومة والصلابة و التأثير و الفعالية و ترك بصمات قوية على الأشياء[25].

فعلماء اللغة يرون أن لكلمة قيمة دور في تحديد معنى الجملة، وأن قيمة الألفاظ تكمن في الاستعمال الصحيح لها؛ كما يستعمل علماء الرياضيات كلمة "قيمة " للدلالة على العدد الذي يقيس كمية معينة؛ ويستخدم رجال الاقتصاد القيمة للدلالة على تقدير مادي لسلعة معينة ويؤكد هذا الرأي ابن منظور: "قَوَّمَ السِّلْعة واسْتَقامه: قَدَّرها".

ويستخدم أهل الفن كلمة قيمة للدلالة على الجمع بين الكم والكيف، وهي بهذا تعبّر عن كيفية الألوان والأحداث والأشكال، والعلاقة الكمية القائمة بينها.

2. مدخل المفهوم الاصطلاحي للقيم:

ولا يخرج المعنى الاصطلاحي للقيمة عن المعنى اللغوي، فهي تعني اصطلاحا: (ما قوم به الشيء بمنزلة المعيار من غير زيادة ولا نقصان)، ومن مرادفات القيمة: (الثمن، والسعر، والمثل.).

إن لفظة "القيمة" أو لفظة "القيم" تعتبر من الألفاظ ذوات المدلول الغني من حيث الدلالات. ويميز "لالاند" "Lalande" في قاموسه بين أربعة معان مختلفة تعود إلى أربع خاصيات للأشياء وتقوم على:

أ-" كون هذه الأشياء تلاقي إلى هذا الحد أو ذاك تقديرا أو رغبة شخص، أو بصورة أكثر عادية، جماعة معينة من الأشخاص".

ب-"كون هذه الأشياء تستحق هذا القدر أو ذاك من التقدير".

ج-" كونها تلبي غرضا معينا".

د-" واقع جماعة اجتماعية معينة، وفي لحظة معينة، يجري تبادلها ومحددة من سلعة تتخذ كوحدة"[26].

[25] JOHN.Laird The idea of value.1929

[26] موسوعة لالاند الفلسفية، لأندري لالاند ،تعريب خليل أحمد، إشراف أحمد عويدات، [ج 3] منشورات عويدات، بيروت – باريز،الطبعة الثانية 2001م

ومع أن الأمر يتعلق في هذه التعريفات، بصفات الأشياء، فإن هذه الصفات يقدرها الناس، ويجري تقييمها تبعا للمنفعة التي تقدمها الأشياء للأشخاص. وعلى كل حال، فإن القول بأن شيئا ما ذو قيمة يعني الاعتراف الضمني بأن ذلك الشيء يحقق خيرا. إن التفكير في القيم هو التفكير فيما هو خير اجتماعيا أو فرديا.

ويستخدم أهل الفن كلمة قيمة للدلالة على الجمع بين الكم والكيف، وهي بهذا تعبّر عن كيفية الألوان والأحداث والأشكال، والعلاقة الكمية القائمة بينها. و" القيمة" بإيجاز، هي " الوجود من حيث كونه مرغوبا فيه، أو موضع رغبة ممكنة". فهي إذن مانحكم بأن من الواجب تحققه. وهي من المنظور الذاتي صفة الأشياء قوامها أن تكون موقع تقدير إلى حد كبير أو صغير، أو أن يرغب بها شخص، أو جماعة من أشخاص معينين؛ وهي –كذلك– من المنظور الموضوعي، صفة الأشياء من حيث كونها جديرة بشيء قليل أو كثير من التقدير، ومن أمثلتها:

- قيم الحياة؛ كقيمة الحق أو قيمة الحرية، وقيمة الإبداع...
- القيم المنطقية، كالصواب والخطأ.
- القيم الأخلاقية و القيم الجمالية ، كقيمة الحسن وقيمة الجمال ... وما إلى ذلك[27].

وبهذا هي عبارة عن الأحكام التي يصدرها الفرد لاستحسان أو استهجان موضوع سيكولوجي (شخص أو فكرة أو حدث)، وذلك في ضوء تقييمه وتقديره لهذه الموضوعات أو الأشياء، وتتم هذه العملية من خلال احتكامه – في ذلك – إلى معارفه وتجاربه وخبراته ومكونات محيطه ومجاله الحضاري الذي يحيى فيه ويكتسب من خلاله هذه المعارف والخبرات والتجارب.

ويتضح من التعريفات المختلفة للقيمة (valeur) أن مفهومها من المفاهيم التي يشوبها نوع من الغموض والخلط في استخدامها عند علماء الغرب، فقد اختلف الباحثون في وضع تعريف محدد جامع لها، وهذا الاختلاف يعزى بالدرجة الأولى إلى الموروثات الفكرية والدينية والمنطلقات النظرية والصبغة التخصصية التي لا تجعل الباحثين يتفقون بالضرورة على تفسير واحد للقيمة فإن منهم علماء الدين الذين يعنون

[27] جان بول ريزفيبر (Jean Paul Resweber)،"فلسفة القيم"، ترجمة عادل العوا، ص:6، عويدات للنشر والطباعة، الطبعة الأولى، 2001، بيروت، لبنان.

بالقيم الدينية؛ ومنهم علماء النفس الذين يعنون بالقيم النفسية؛ ومنهم علماء الاقتصاد الذين يعنون بالقيم الاقتصادية؛ ومنهم علماء الاجتماع الذين يعنون بالقيم الاجتماعية؛ وهكذا دواليك.

وقد تحدد القيم إجرائيا استنادا لما تقدم ذكره، على الشكل الآتي:

- أنها محك يحكم بمقتضاه ويحدد على أساسه ما هو مطلوب ومرغوب فيه أو مفضل في موقف توجد فيه عدة بدائل تتحدد من خلالها أهداف معينة أو غايات ووسائل لتحقيق هذه الأهداف أو الغايات.
- أنها حكم سلبي أو إيجابي على مظاهر معينة من الخبرة في ضوء عملية التقييم التي يقوم بها الفرد.
- أنها تعبير عن هذه المظاهر في ظل بدائل متعددة لدى الفرد، وذلك حتى يتسنى له الكشف عن خاصية الانتقائية التي تتميز بها القيم، وتأخذ هذه البدائل صفة الإيجاب ك" يجب أن" أو "ينبغي أن" أو بمعنى آخر خاصية الإلزام التي تحملها القيم.
- أنها ذات وزن، بحيث يختلف وزن القيمة من فرد لآخر بقدر احتكام هؤلاء الأفراد إلى هذه القيمة في المواقف المختلفة، وفي ضوء ذلك تمثل القيم ذات الأهمية بالنسبة للفرد وزنا نسبيا أكبر في نسق القيم، وتمثل القيمة الأقل أهمية وزنا نسبيا أقل في هذا النسق.

والقيم بهذا إدراك معرفي وإرادة نفسية يتدخل فيهما **العقل والشعور** ليتبلورا في ممارسات يجلّيها الواقع عبر السعي إلى تحقيق غايات معينة، وفي معايير ثابتة ومقاييس موضوعية تحكمها تعاليم ملزمة، وتوضحها تطبيقات منضبطة، وترسخها تقاليد متداولة؛ لكن دون التجرد من فعل الذات بكل ما يعمل فيها من مؤثرات تتدخل في التمييز، ثم في توجيه الرغبات؛ مما يعكس مدى الالتزام بما تفرضه تلك المعايير والمقاييس وما لها من سلطة، كما يعكس رد فعل الآخرين تجاه هذا السلوك؛ ومما يثير في النهاية معادلة ثنائية بين ما هو فردي وما هو جماعي، ثم بين ما هو ظاهر وما هو باطن، وكذا بين ما هو صواب وما هو خطأ.

وترتكز مختلف التعاريف للقيم حول كونها مجموعة من القوانين والمقاييس توضع عند جماعة ما و تتخذها معايير للحكم على الأفكار والأشخاص في تجلياتهم الفردية والجمعية وكذلك الحكم على التصرفات والمسلكيات، ويكون للقيم من القوة والفعل في التأثير على الجماعة، ما يلزمها بالضرورة والعمومية، وكل انحراف أو ميل عن مقاصدها، يصبح انحرافا عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومثلها العليا.

وفي المجال الفلسفي تفيد القيم المعنى الخلقي الذي يستحق أن يتطلع المرء بكليته ويجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه[28]، وبناء على هذا استعمل الفلاسفة قديما لفظ "المثال"، أو مُثُل "الحق"، "الخير"، "الجمال".

وحديثا مُثُل "الحرية"و "العدل" و"المساواة".

وينفي الأستاذ ناصر الدين الأسد[29] ورود كلمة "القيم" في التراث العربي بالمعنى الذي يستعمل اليوم، بحيث لم توظف هذه الكلمة بهذا المعنى لا بصيغة المفرد "القيمة" ولا بصيغة الجمع "القيم"، ولكن جرى على ألسنة العرب مقابل دلالة هذه اللفظة في معناها المعاصر كلمات "الخلق"[30] و"الأخلاق" و"الخليقة" بحمولتها المتضمنة للسيئ والحسن أو الإيجابي والسلبي، وأورد شواهد على ذلك منها قوله تعالى: في وصف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[31]. لكن لفظة الخلق لا تحيل إلى معنى القيم.

و يعبر علماء الأصول عن القيمة بلفظ " المصلحة"؛ أو المصالح المستنبطة من النصوص الشرعية، وهي"الدين" و"العقل" و"النفس" و"المال" و" العرض"[32]

ولا يخفى على ذي نظر أن القيم ارتبطت بلفظ الأخلاق الذي مفرده خُلُق، والخُلُق، لغة هو الطبع واصطلاحا هو الصفة السلوكية محمودة كانت أو مذمومة.

وإذن، بهذا الاعتبار، فالقيم هي الموجهات المنهجية للسلوك و هي كذلك ضوابط الممارسة الفردية والجماعية وموازينه الحاكمة، وصمام أمان للنظم المؤطرة للمجتمع وحامية بنائه الاجتماعي ومحفزته جلبا لمصالحه ودرءا لكل مايفسده.

---

[28] أي أنه المعنى الذي يجمع بين استحقاقين اثنين، استحقاق التوجه إليه واستحقاق التطبيق له وممارسته.

[29] ناصر الدين الأسد "نظرات في لغة المصطلح و في مضمونه" من أعمال ندوة " أزمة القيم و دور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر"، الدورة الربيعية لسنة 2001، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الدورات" مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2002، ص 49.

[30] قدم طه عبد اغلرحمن نظرية متكاملة حول الأخلاق بين فيها عمليات انتقال مفاهيمها من الأصل اليوناني إلى الممارسة التراثية ووجوه تقريبها، تجديد المنهج في تقويم التراث، الفصل الرابع حول التقريب التداولي لعلم الأخلاق اليوناني، المركز الثقافي العربي، الكبعة الثانية. ص381.

[31] سورة القلم، الآية 5

[32] طه عبد الرحمن، تعددية القيم؛ ما مداها؟ وما حدودها؟، ص: 11-12

3. مدخل القيم في الهدايات القرآنية

لقد انبرى زمرة من المفكرين والفلاسفة المعاصرين إلى مدارسة المسألة القيمية والمشكلة الأخلاقية، تراوحت بين الاستغراب لغيابها في الفلسفة الإسلامية الوسيطة باستثناء "ابن مسكويه"[33] والسعي إلى استئناف بحث جدي بصددها[34] أو الخروج بخلاصة مفادها أن حظها من اهتمام علماء الإسلام ومفكريه ضئيل جدا إذا قورن بغيره من مجالات المعرفة العلمية الفلسفية[35]، و إلى الاجتهاد التأصيلي للقيم من منظور ديني مقارنة بالنزعات والمذاهب الغربية[36]، أو الإبداع الفلسفي الذي تمظهر في جهود الأخلاقيين المسلمين، الذين أنشأوا أنساقا عقلانية مبنية على العمل والممارسة في الإسلام مرتبطة بالمجال العقدي واللغوي والمعرفي[37]

لقد أصبح من آكاد ضرورات البحث و النظر من زاوية الهدايات القرآنية التي تدعو إلى تحقيق مصالح العباد بما تحمله من تشريع رب العباد ما يفيد التوفيق بين ما يهدي إليه التشريع الإلهي من إنسجام جمالي بين القيم الفردية الخاصة، والقيم الجماعية المشتركة، مما يقتضي تشميرا تنظيريا، ومنهاجيا وتربويا، وإجرائيا كبيرا، الذي يلزم منه تجريد العزم واستجماع مستلزماته واستكمالها.

إن القيم في الإسلام لا تنحصر في القيم الثلاث (الحق والخير والجمال) التي اهتم بها الفلاسفة وإن كان من الظاهر أنها متصلة بها ومتداخلة معها، لأن القيم في الإسلام لها استقلاليتها ومنها قيم مرجعية كثوابت ومنها قيم فرعية تستلّ منها. وقد لخص الدكتور ناصر الدين الأسد مضمون القيم الإسلامية في قوله:"...ف"العدل" قيمة كبرى في الإسلام، وهي من "الحق"، ولكنها تمتاز منه، بلِ ربما كانت جميع القيم منضوية تحت لواء "الحق" ولكن لها شيئا من التمايز. وقد جاء أمر الله بالعدل أمرا واضحا صريحا

---

[33] أبو علي أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه (ت421هـ)، مؤلف كتاب : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، طبع طبعة أولى حجرية عام 1329هجرية.

[34] أحمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص:9.

[35] توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية؛ نشأتها وتطورها، القاهرة، دار النهضة 1967م،ص:196

[36] ينظر محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن الكريم، تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مراجعة السيد محمد بدوي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار البحوث العلمية الكويت، 1973م ص: 5-4

[37] ينظر طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، الطبعة الثانية 1997م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ص: 184

في القرآن، قال تعالى:(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[38].

والإحسان منزلة أخرى من منازل القيم الإسلامية، تختلف عن العدل، ولكنها تنسجم معها في هذه المنظومة الإسلامية. وهل أوضح من أمر الله تعالى بالعدل الوارد في قوله:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا)[39]. وأكد سبحانه هذا الأمر بالعدل بقوله: (ياأيها ...)[40]. وقال لنبيه عن أهل الكتاب:(...وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ)[41].

ومن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)[42]. وسوى هذه الآيات آيات أخرى كثرة تكررت في كتاب الله لأن العدل هو قوام المجتمع وأساس نظامه. ومن القيم الإسلامية "الوفاء" قال تعالى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ)[43]. وقال: (...وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)[44].

وتلعب القيم دوراً بارزاً في حياة الأفراد، فهي تشكل الجانب المعنوي في السلوك الإنساني، والعصب الرئيس للسلوك الوجداني، والثقافي، والاجتماعي عند الإنسان.

ويمكن القول إن القيم تشكل مضمون الثقافة ومحتواها، والثقافة هي التعبير الحي عن القيم، كما أنها تلعب دوراً بارزاً في تحديد سلوك الفرد، ويمكن تلخيص أهميتها في حياة الفرد وممارسته لها على مستوى الفعل في الأمور الآتية:

[38] سورة النحل الآية 90
[39] سورة النساء الآية 134
[40] سورة المائدة. الآية 9
[41] سورة الشورى الآية 13
[42] سورة النساء الآية 57
[43] سورة النحل الآية 91
[44] سورة الإسراء الآية 34

(أ) فهي تلعب القيم دوراً مهماً في تشكيل الشخصية الفردية وتحديد أهدافها في إطار معيار صحيح، ولقد كانت شخصية النبي عليه السلام أنموذجاً حياً لمنظومة القيم التي جاء بها الدين، ولهذا فقد قالت السيدة عائشة عندماُ سئلت عن أخلاق النبي "كان خلقه القرآن".[45]

(ب) وهي ممارسة لعمل تحويلي يؤدي إلى تفتق قدرات اجتهادية القائمة على العمل هو أوثق صلة بالتخلق الفعلي منه بالتصور الذهني. فالقرآن المجيد شامل لحقائق الإنسان والعالم فباستكناه الإنسان حقيقة ذاته، فإنه في الوقت نفسه يتلقى الخطاب و يفهم كلمات القرآن وكلمات العالم –أي الكتاب المسطور والكتاب المنظور– فتغدو مظاهر الكلمات علامات وآيات لهدايات ثاوية خلف دلالات الخطاب، لأنه خطاب الحق إلى الإنسان الذي عليه أن يتبين معانيه ومقاصده عن طريق الاهتداء به وإتباع طريق الحق المنزل فيه والتحلي بآدابه في سبيل القرب من المتكلم الأسمى سبحانه. فالتدبر للقرآن و للآي، يؤدي لفتح للفهم بما يتجدد به العمل والممارسة الأخلاقية.

(ت) أنها تلازم بين المعرفة والممارسة حيث بالمثابرة الدائمة وتكرار الفعل الأخلاقي يورث "عادة" ثم يصبح "سلوكا" قائما بالذات كما قام بالذهن أول الأمر.

إن التصور العملي للقيم بالفعل والممارسة – باعتبارها مقاصد أخلاقية يطلبها الإنسان – وليس بالتأمل والنظر – فحسب – يخرجها من الجمود والخمول والضيق إلى الحركة والفعالية والاتساع، بحيث تصبح القيم معارج معنوية لا حصر لها في الترقي والسمو لتحقيق الكمال الإنساني، كما تصبح شاملة لكل الأفعال دائمة الاتساع .

[45] ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ذلك في وصف النبي صلى الله عليه وسلم.
فقد جاء في حديث طويل في قصة سعد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة ، وأتى عائشة رضي الله عنها يسألها عن بعض المسائل ، فقال:
فَقُلتُ : يَا أُمَّ المُؤمِنِينَ ! أَنبئِينِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ؟
قَالَت : أَلَستَ تَقرَأُ القُرآنَ ؟
قُلتُ : بَلَى.
قَالَت : فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كَانَ القُرآنَ.
قَالَ : فَهَمَمْتُ أَن أَقُومَ وَلَا أَسأَلَ أَحَدًا عَن شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ ...الخ) رواه مسلم

وليس من الممكن إدراج كل القيم الإسلامية في هذا الموجز الذي القصد منه مقاربة القيم في الخطاب القرآني الهادي إلى منظومتها ومجالاتها ومرجعيتها، ولكن من الممكن جدا تتبع بعض ألفاظ القيم الإسلامية واشتقاقاتها على سبيل المثال لا الحصر.

فقد جاء لفظ "الحسن" بمشتقاته في القرآن الكريم في أربعة وتسعين ومائة موضع، وله معانيه المتنوعة بحسب سياق اللفظ، ومن أبلغ الأقوال في الإحسان قوله عليه السلام "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[46]. وخلق الإحسان يتسع ليشمل القول والعمل والعبادات والمعاملات، لذلك جعل الله تعالى رحمته ومحبته جائزة المحسنين "وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"[47].

وتمكن الإشارة إلى أن الهدايات القرآنية للقيم هدفت إلى بناء الإنسان وفق الطينة الخيرة التي أرادها له الله سبحانه وتعالى والتي من تجلياتها:

1. **التكريـــم** مصداقا لقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ على كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[48].

2. **الاستخـلاف**، أي أن يتبوأ المكانة التي ارتضاها له تعالى كخليفة له في الأرض:(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[49].

3. **تحمل المسؤولية** التي أناط الله سبحانه وتعالى الإنسان بها، والتي وصفها الله تعالى بـ"الأمانة "و"التكليف" قال تعالى:(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)[50]. وقال تعالى أيضا: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ ...)[51].

---

[46] محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، تحقيق محب الدين الخطيب الناشر، المكتبة السلفية ، القاهرة الطبعة :الأولى سنة الطبع 1400هـ

[47] سورة آل عمران 134.

[48] سورة الإسراء، الآية 70

[49] سورة البقرة، الآية 29

[50] سورة الأحزاب، الآية 72

[51] سورة البقرة، الآية 285.

4. **إعمال الفكر والنظر**، وقد وردت الدعوة إلى ذلك بصيغ متعددة، وفي آيات كثيرة من أمثلتها:

الدعوة إلى التفكير وردت هذه الدعوة في ثمانية عشر موضعا بصيغة الفعل وهي (فكر–تتفكرون – يتفكرون – تفكرون)، ومنها قوله تعالى:(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[52]. وقوله جل وعلا:(وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[53]. وقوله عز من قائل: (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[54]. وقوله جل وعلا: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)[55] .

وورد في السنة المطهرة الكثير من الأحاديث النبوية الدالة على أهمية التفكر والتدبّر: جاء بلال إلى الرسول يؤذنه بصلاة الصبح، فوجده يبكي، فقال: يا رسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: ويحك يا بلال! وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى عليّ في هذه الليلة: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ثمّ قال: "ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر"[56].

الدعوة إلى إعمال العقل ووظائف النظر، قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)[57] (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا

[52] سورة الأعراف، الآية 176
[53] سورة يونس، الآية 24
[54] سورة الرعد، الآية 3
[55] سورة آل عمران، الآيتان 190–191
[56] رواه ابن حبّان في صحيحه
[57] سورة البقرة آية 169.

لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)[58]. قال تعالى: (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ)[59]

الدعوة إلى التدبر، قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)[60]. وقال عز من قائل (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[61]. وقال تعالى: (قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ)[62]. وقال تعالى أيضا:(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[63]

توجيه الخطاب إلى الفئات التي تحكم العقل في الأحكام: وردت كلمة " الفكر" في القرآن الكريم 18 مرة،و كلمة " العقل " 49 مرة، و كلمة " الألباب " 16 مرة، وكلمة " التدبر" 4 مرات وهذا يبين مدى اهتمام الإسلام بمنظومة التفكر بكل مدلولاتها:

قال تعالى :(كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ)[64] وقال عز من قائل: (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ)[65] وقال جل وعلا أيضا: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ)[66].

5. **الخيـــــر** : يمتلك الفعل البشري قيمته مما يتسم به من خيريّة، وكلما ازدادت نسبة الخيريّة في الفعل ازدادت القيمة التي يمتلكها، وفي هذا الصدد تعرّف القيمة الأخلاقيّة بأنّها: "شكل لتجلي العلاقات الأخلاقيّة في المجتمع . قال تعالى(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُون)[67] وقال عز من

---

[58] البقرة، الآية 170
[59] سورة المائدة آية 60.
[60] سورة النساء آية 81
[61] سورة محمد آية 25
[62] سورة الأنعام آية 105
[63] سورة الحج آية44
[64] سورة طه آية 53
[65] سورة طه آية 126
[66] سورة آل عمران آية 190
[67] سورة آل عمران آية 110

قائل:) وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[68]. وقال صلى الله عليه وسلم: " لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "[69].

إن العمل بمقتضى هذه القيم الإسلامية –التي تحملها الهدايات القرآنية – وتحكيمها في اختيار السلوكيات والممارسات وتبني المسارات عن فهم واستيعاب واقتناع قد يؤدي، في أغلب الأحيان، إلى درء مخاطر الهجمات المبيتة الهادفة إلى المس بالإنسان –اليوم– عقيدة وخلقا وسلوكا وممارسات. إن هذه القيم وما يمكن أن يتفرع منها من قيم مكملة تشكل صرحا إذا لاذ به المرء جعله في مأمن مما يتهدده من أخطار محدقة به ومصوبة إليه بدقة لتعطيل آلياته العقدية والفكرية والوجدانية.

4. مدخل مكونات القيم ومتطلبات العمران

التروس الصغيرة في الساعة لا تسمى ساعة، وهي تكتسب معناها في نظام الساعة لا خارجه، ولا معنى للجزء من دون سياقه الكلي.

نعمتان يساء استخدامهما: العقل والدين؛ فالبعض يستخدمهما ليزداد سموا، والبعض الآخر ليتحلل من مقررات القيم والأخلاق، والعيب ليس في الأداتين، لكن في غلبة الشهوات على الإنسان، إذ لا يستطيع الإنسان تسويغ انحلاله من عرى الأخلاق بأي منهما؛ ففي فضاء العقل متسع، وفي الحيل الدينية متسع وفي كل الأحوال هي تعبير عن غلبة الشهوات.

فالسقوط في مهاوي الضلال قد يأتي بسوء المنهج وطرائق النظر والتفكير، وقد يأتي بسوء الطوية وانحراف القلب، فالشرق ضل وأضل لما اتبع آباءه وسادته، والغرب اتبع سادته وكبراءه فضل وأضل أيضا، لذلك وصف الغرب في قرونه الوسطى بالظلام، وكذلك الجاهلية قبل الإسلام، وفي كلتا الحالتين كان منهج الفكر والتلقي مختلا في مسلماته ونتائجه؛ فأورث جهالة استمرت مئات السنين، وانحراف القلب كثيرا ما كان سببا في إضلال الأفراد والجماعات، والابتعاد عن قبول الحق الأبلج، لذلك يعتبر فساد المنهج وفساد القلب آفة الآفات في كل عصر، واختلالهما طريق الهوان الإنساني.

وتشكل القيم أساس نهضة الشعوب، وعماد إقامة العمران وبناء الحضارات وازدهارها، فبها يستضيء الإنسان في مدلهمات الحياة، وعلى أنوارها يهتدي ويسترشد عندما تتزاحم عليه الأفكار وتتضارب حوله

[68] سورة البقرة آية 147

[69] رواه الشيخان عن أنس بن مالك

الآراء، وتنتشر الفوضى وتضطرب الأوضاع، وهي التي تضمن السكينة والاستقرار النفسي للفرد، وتضبط غرائزه، وترشد استعمال طاقاته النفسية والبدنية والعقلية، فعودة الإنسان إلى التشبث بالقيم والاهتداء بها في تنظيم جميع شؤونه وحل أزماته تشكل عودة إلى جوهر الإنسان وحقيقته، فهي الأولى بتحديد ماهيته وبيان وظيفته.

"والقيمة خاصية إن وجدت في الشيء جعلته مرغوبا فيه، أو غير مرغوب فيه، كالخير، والشر والفضيلة، والرذيلة، والعدل والجور، والجمال والقبح، والصدق، والكذب، هذه الثنائيات تندرج ضمن أنواع كبرى من القيم:

أ. القيم السياسية: المواطنة والديمقراطية.

ب. القيم المنطقية: الصحيح والخطأ.

ت. القيم الاقتصادية: السعر وفائض القيمة.

ث. القيم الجمالية: الجميل والعظيم.

ج. القيم الأخلاقية: الواجب والإيثار."[70]

إن القيم مؤشر من مؤشرات الحضارة، يمكن ملاحظتها وقياسها في أي مجتمع، من خلال سلوكات أفراده والحقل الدلالي لألفاظهم، وما يصدر عنهم من مواقف، فهي تؤدي دورا مهما في الاندماج فيما بينهم، حيث تجعل الفرد يتقاسم القيم الحميدة الجماعية مع غيره، كقيم العدالة، والمساواة، والوفاء، والتضحية، والخير، والجمال، وحب الوطن، والغيرة على أمنه واستقراره.

فماهو مصدر القيم التي تصدر عنه وترد؟

وماهي مكوناتها التي تلبي متطلبات إقامة العمران وبناء الحضارة؟

مصادر القيم

[70] دفتر التربية والتكوين العدد الخامس شتنبر 2011 ص 90

من التساؤلات المعقدة المطروحة على الباحثين في القيم، أصل القيمة أو مصادرها فهل مردها إلى الدين، أم إلى المجتمع، أم إلى الكون اللاشخصي، أم إلى الفرد ذاته؟

إن كل إجابة عن هذا الإشكال ستكون بمثابة نظرية، ومجموعة من النظريات قد تلتقي حول مصدر من المصادر، ثم تتفرق بحسب الانتماء الفكري لصاحب النظرية[71] وعموما يمكن إجمال مختلف الآراء حول مصادر القيم في أربعة اتجاهات فكرية وفلسفية.

- **اتجاه التحليل النفسي والبرغماتيين والوجوديين:**

يرون أن مصدر القيم هو الوعي أو الوجدان النفسي وما يضطرب فيه من مشاعر ورغبات، وأن القيمة لاتكون صفة خاصة بالموضعات، بل تلحق بأنواع الذوات، فليس ثمة قيمة إلا ما يرضي رغبة أو يثير انفعالا أو يجسد دافعا[72]

- **الاتجاه الاجتماعي:**

يعتبر "جورج زيمل" (George Simmel) عالم الاجتماع والفيلسوف الألماني أن القيم جميعها لها مصدر واحد، هو المجتمع، ويؤكد " دوركايم" (Emil Durkheim) على أن المجتمع هو أصل القيم ومصدر الإلزام، وهو ليس مجموع أفراد، بل المركب الذي ينتج عن ائتلاف الأفراد في علاقات اجتماعية، مؤديا إلى عقل جمعي متميز عن عقول الأفراد المكونين له.[73]

- **الاتجاه الموضوعي:**

يرى أنصاره أن القيم تتميز بموضوعيتها واستقلالها عن الأفراد والمجتمع وتعاليها عليهم، واكتفائها بذاتها، إنها خصيصة في الأشياء تثير رغباتنا فيها بفضل طبيعتها الذاتية، وتدفعنا إلى البحث عنها؛ لأنها جديرة

[71] محمد بلفقيه، العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم، منشورات المعارف الطبعة الأولى 2007م، الرباط،ص:191

[72] صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1980م،ص:72

[73] محمد بلفقيه، العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم،ص:203-204، بتصرف

بذلك، وهي مستقلة عن مصالح الإنسان واشتهاءاته، وهي ضرورية ودائمة تتخطى الزمان والمكان ولا تتبدل بتغير الظروف والأحوال[74].

- **الاتجاه الديني:**

يرى أنصار هذا الاتجاه أن مصدر القيم قوة خارجية عن الإنسان والمجتمع، تعلو فوق قدرات الإنسان، لأن الأشياء لا تخلق نفسها، بل الله خالقها ومقومها، وهو الذي يعطي قيمة للأشياء والأفعال، لهذا فالقيم تنطبق عل جميع الناس دون استثناء، ولا تخضع لإرادتهم وأهوائهم الفردية والجماعية على السواء، ولهذا فهي تتصف بكونها عامة وثابة ومطلقة وكلية[75].

وفي اعتقاد الباحث أن القيم هي معطى جاهز مغروز في الفطر، مركوز في النفس الإنسانية، فمن خصائصها الثبات والرسوخ والاطراد، كما هي منظومة القيم التي جاء بها الإسلام، لا تفقد خصائصها ولا تتراجع قيمتها ولا تبلى مع الزمن، لأنها قيم جوهرية، ثابتة، مستقرة، بثبات الرسالة الإسلامية، واستقرارها وخلودها، ولأنها من الثوابت وليست من المتحولات، نزل بها الوحي الإلهي، وتجسمت في حياة رسول الله صلى عليه وسلم.

لأن عقول الأفراد متابينة ومختلفة، ورغبات الناس متزاحمة مبنية على المشاحة والمنافسة، فلا يسلم بأن تكون مصدرا للقيم ومنبعها، لأن الوارد على نفوس الأفراد غلبة الهوى وقهر الشهوات.

مكونات القيم

تحتوي القيم من منظور العالم النفساني الاجتماعي البولندي الأمريكي "روكيتش" على ثلاثة عناصر لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى لأنها تندمج وتتداخل لتعبر في النهاية عن وحدة الانسان و السلوك:

- **المكون المعرفي:** والذي يتضمن إدراك موضوع القيمة وتمييزه عن طريق العقل و التفكير ومن حيث الوعي بما هو جدير بالرغبة و التقدير، ويمثل معتقدات الفرد و أحكامه و أفكاره ومعلوماته عن القيمة، أو بمعنى آخر وضع أحد موضوعات التفكير على بعد أو أكثر من أبعاد الحكم. ومعياره " الاختيار" أي

[74] صلاح الدين بيوني رسلان، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، الطبعة الأولى1990م، ص: 38-39، بتصرف

[75] عادل غزالي، أثر القيم الاجتماعية على التنظيم الصناعي الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007م، ص: 39

انتقاء القيمة من مبادئ مختلفة بحرية كاملة بحيث ينظر الفرد في عواقب انتقاء البديلات ويتحمل مسئولية انتقائه بكاملها، وهذا يعني أن الانعكاس اللاإرادي لا يشكل اختياراً يرتبط بالقيم.

- **المكون الوجداني:** ويشمل الانفعالات و المشاعر و الأحاسيس الداخلية، وعن طريقه يميل الفرد إلى قيمة معينة، ويتصل هذا المكون بتقدير القيمة والاعتزاز بها، وفي هذا الجانب يشعر الفرد بالسعادة لاختيار القيمة ويعلن الاستعداد للتمسك بالقيمة على الملأ. ومعياره الممارسة والعمل أو الفعل ويشمل الممارسة الفعلية للقيمة أو الممارسة على نحو يتسق مع القيمة المنتقاة، على أن تتكرر الممارسة إلى الدرجات المؤدية إلى القيم، وتتكون من خطوتين متتاليتين هما:

الأولى: **ترجمة القيمة إلى ممارسة.**

الثانية: **بناء نمط قيمي.**

- **المكون السلوكي:** وهذا الجانب هو الذي تظهر فيه القيمة، فالقيمة هنا تترجم إلى سلوك ظاهري، ويتصل هذا الجانب بممارسة القيمة أو السلوك الفعلي، والقيم بناء على هذا التصور تقف كمتغير وسيط أو كمتغير مرشد للسلوك أو الفعل، ومعياره: التقرير الذي ينعكس في التعلق بالقيمة والاعتزاز بها، والشعور بالسعادة لاختيارها والرغبة في إعلانها على الملأ. ويعتبر التقدير مرحلة مهمة في سلم الدرجات المؤدية إلى القيم .

القيم ومتطلبات العمران

من أهم ما رسخه البحث العلمي المعاصر من قواعد منهجية في دراسة الظواهر الكونية الطبيعية والظواهر الإنسانية الاجتماعية، قاعدة النظر إلى هذه الظواهر باعتبارها نظاما تتفاعل داخله كل المكونات، أي اعتبارها بنيات تتحكم العلاقة العضوية فيما بينها، وأن كل ظاهرة مادية طبيعية أو نفسية أو اجتماعية هي منظومة محكومة بقانون التفاعل بين أجزائها؛ فالعالم اليوم عبارة عن ظواهر متناثرة، ولا وحدات منغلقة عن ذاتها، وإنما هو علاقات من التفاعل والتجاوب والتقابل التي يجسدها الاستمرار من جهة، والتطور والتغير من جهة أخرى.

لذلك يكون من الواجب منهجيا أن ننظر إلى القيم من خلال الهدايات القرآنية أنها منظومة متكاملة تتضمن محددات منهجية للتعامل مع الله والإنسان والكون، إذ لا تتحقق الغاية منها إلا بتفاعلها المحكم فيما بينها، بوصفها آليات يحرك كل منها الآخر، فإذا تعطلت إحداهما أدت إلى تعطيل الأخرى أو إلى الإخلال بها، أو تخلف نتائجها.

إن القيم بصفة عامة هي ما يجب أن يظل مطلوبا، أو بالأحرى ما يجب تحقيقه لذاته. وهذا يعني أن القيمة الأخلاقية تفرض معناها كضرورة أو كمعطى وجداني قلبي لا يحتاج إلى برهان أو جهد عقلي، ففطرة الإنسان هي تلهمه قبول هذه القيم بغير وسيط[76].

إن القيم العمرانية إنسانية بامتياز فهي خاصة به دون غيره من سكان الأرض، إذ تمثل انعكاسا لرسالته في الأرض، وتظهر وجوه امتيازه واختلافه عن غيره ممن يعرف من الخلق، وتحدد طبيعته المرتبطة بالحرية النسبية والمسؤولية الشخصية غالبا والجماعية أحيانا.

وتبدو تجليات ذلك في أن الإنسان حين يقيم العمران ويصنع الحضارة لا يوظف قواه البدنية فقط، بل لديه قوى أخرى يمتاز بها عن غيره من أنواع الخلق، ويوظفها ضرورة لهذا الهدف أيضا، وهي قواه الروحية والنفسية والعقلية، وهذه الثلاث هي الدوافع هي الدافع االلازم لتفعيل القوى البدنية وزيادة قدرتها على الإنجاز.ومن هنا يمكن القول إن اللازم لإقامة العمران وإنتاج الحضارة هو وجود كينونة إنسانية مُفَعَّلَة بكل ما تشتمل عليه من قوى وملكات، وبقدر هذا التفعيل، وبقدر توازنه المناسب لطبيعة الإنسان يكون شموخ العمران أو تهافته.

وليست القيم العمرانية والحضارية، على الرغم من أهميتها جميعا، سواءً؛ بل منها ما هو مهم، وما هو أهم؛ حسب عمق واتساع عمل القيمة في كل مجال، فمع أن للفنون منزلتها في الارتقاء بالإنسان، فلا شك أن مجال الأخلاق يفوقها أهمية؛ لما فيه من اختيار وحرية إنسانية.في حين أن تقدير الجمال يخضع لحس فطري، آخر يكتسبه الإنسان من بيئته، كما أن مجال المادة يتعلق بضرورات بدنية، ومن هنا تبدو القيم ذات الحكم العميق في المجال الأخلاقي أكثر أهمية.

ولا يعني هذا التفاوت إمكانية الاستغناء عن القيمة المهمة لصالح القيمة الأهم؛ ذلك أن مجال عمل كل واحدة منها يأتي من زاوية تختلف فيها عن عمل الأخرى؛ وإنما جاء التفاوت – كما سبق – نابعا من عمق تعلقها بالمجالات المختلفة للنشاط الإنساني، واتساع تطبيقاتها.

خاتمة

[76] لكن – وكما سبقت الإشارة للإجابة على التساؤل عن مصدرية القيم، وعن طبيعتها المعيارية. – إن قيل إنها مدركات وجدانية بديهية، أو معرفة قلبية، جُعل مصدرها هو مصدر الإنسان نفسه، وإن قيل إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، أيد الباحث القول بأن مصدرها هو الله، واعتبر الوجدان والعقل الإنسانيين قد طبعا على إدراك هذه القيم.

رغم التحديدات السابقة لمفهوم "القيم"؛ فإن موضوع القيم يطرح صعوبات ترتبط بشكل حضور هذا المفهوم عند الباحث المشتغل به. وخاصة حينما يتعلق الأمر بتحديد علمي دقيق للفظة "القيمة".

إن التصور العملي لممارسة القيم باعتبار مقاصد أخلاقية يطلبها الإنسان الذي ينشد العمران بالتجربة والاشتعال وليس بالتأمل والنظر فحسب، يخرجها من الجمود والضيق إلى الحركة والاتساع، فإن كانت القيم عادة ما ترتبط بالأخلاق، فإن هناك فرقا بين الأخلاق والإيتيقا[77]، فالأولى تحدد لنا الواجبات والحقوق، أما الثانية فتوصينا بالحكمة والسعادة، فهي ذات بعد فلسفي ويمكن نعتها بفلسفة الأخلاق.

وإذا كانت القيم باعتبارها روافد السلوك المدني تشتمل كافة مناحي الحياة البشرية، فإنها تعني بنفس الدرجة كل المؤسسات الاجتماعية التي تقوم بوظيفة التنشئة والتربية لأجل تحقيق العمران وبناء الإنسان الحضاري رغم اختلاف مواقعها وتباين تأثيرها.

وإذن، فما هي القيم التي تسمح لمجتمعات بالتقدم على الرغم من قلة مواردها وتمنع أخرى على الرغم من وفرة مواردها؟

لائحة المصادر والمراجع:

1. كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) الجزء الخامس ط دار الشؤون الثقافية العامة دار مكتبة الهلال، تحقيق (د: مهدي المخزومي). (د: إبراهيم السامرائي). عام 1986 العراق بغداد.
2. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987م
3. معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395هـ) [ص:43] الجزء الخامس /دار الجيل/1420/1999
4. لسان العرب لابن منظور: (ت 711هـ) [ص:585-597] المجلد 12 ط: دار الكتب العلمية: 2002-1424.

[77] بشكل عام، يتم استخدام المصطلحين "الأخلاق" و "الإيتيقا" بالتبادل.

5. القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م
6. تاج العروس: للزبيدي (ت 1205هـ) ج/19 [ص 176-181] ط دار الكتب العلمية 2007-1428.
7. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية الجزء (1-2) المكتبة الإسلامية 1380-1960.
8. قاموس القرءان أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرءان الكريم للفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الداقفاني، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، [ص:]، دار العلم للملايين، أيار (مايو) 1980م
9. المعجم الإسلامي، دار أسامة للنشر والتوزيع. زيدان عبد الفتاح قعدان ج 3 ص 1827.
10. موسوعة لالاند الفلسفية، لأندري لالاند، [ج 3] منشورات عويدات، بيروت –باريز، الطبعة الثانية 2001م
11. "نظرات في لغة المصطلح وفي مضمونه" من أعمال ندوة" أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر". ناصر الدين الأسد، الدورة الربيعية لسنة 2001، ص 49، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الدورات" مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2002.
12. جان بول ريزفيبر (Jean Paul Resweber)، "فلسفة القيم"، ترجمة عادل العوا، ص:6، عويدات للنشر والطباعة، الطبعة الأولى، 2001، بيروت، لبنان.
13. ناصر الدين الأسد "نظرات في لغة المصطلح و في مضمونه" من أعمال ندوة " أزمة القيم و دور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر"، الدورة الربيعية لسنة 2001، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الدورات" مطبعة المعارف الجديدة الرباط 2002، ص 49
14. طه عبد الرحمن، تعددية القيم؛ ما مداها؟ وما حدودها؟، المطبعة والورتقة الوطنية، الطبعة الأولى2011م،مراكش، المغرب، ص: 11-12
15. أبو علي أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه (ت421هـ)، مؤلف كتاب : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، طبع طبعة أولى حجرية عام 1329هجرية.
16. أحمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص:9.
17. توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية؛ نشأتها وتطورها، القاهرة، دار النهضة 1967م،ص:196
18. ينظرمحمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن الكريم، تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مراجعة السيد محمد بدوي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار البحوث العلمية الكويت، 1973م ص: 4-5

19. طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، الطبعة الثانية 1997م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ص: 184
20. محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، تحقيق محب الدين الخطيب الناشر، المكتبة السلفية ، القاهرة الطبعة :الأولى سنة الطبع1400 ه
21. دفاتر التربية والتكوين العدد الخامس من مجلة "دفاتر التربية و التكوين"، الصادرة عن المجلس الاعلى للتربية و التكوين المغرب شتنبر 2011م، ص 90
22. محمد بلفقيه، العلوم الاجتماعية ومشكلة القيم، منشورات المعارف الطبعة الأولى 2007م، الرباط،ص:191
23. صلاح قنصوة، نظرية القيم في الفكر المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1980م،ص:72
24. صلاح الدين بيوني رسلان، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى1990م، ص: 38-39.
25. عادل غزالي، أثر القيم الاجتماعية على التنظيم الصناعي الجزائري، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007م، ص: 39

26. JOHN.Laird The idea of value.1929 ; **Cambridge at the University Press Hardcover – January 1, 1777**